الأَديبْ و المُفَكِّرْ الرَّاحِل
رَمَضان عَبْدِ الرَّحْمن لاوَنْدْ

الحوار أهم سمات
الإعلام الإسلامـي

الحوار أهم سمات الإعلام الإسلامي

....

في شهر نوفمبر انعقد في الرياض مؤتمر إسلامي كبير كان الموضوع الرئيسي له هو الإعلام الإسلامي. وقد توجهت "الكويتي" بعدة تساؤلات حول موضوع المؤتمر إلى السيد رمضان لاوند ممثل دولة الكويت في المؤتمر وصاحب أحد البحوث الهامة في موضوع المؤتمر وأحد المفكرين البارزين على خريطة الحركة الثقافية في الكويت فقال: الإعلام الإسلامي قد حدد نظريته بكلمة واحدة هي الحوار ولو أننا استعرضنا تاريخ الدعوات الدينية التي جاء بها الأنبياء والرسل لتبين لنا أنّ الحوار أعلى قمة بلغتها الدعوات الدينية في المراحل المختلفة التي تعاملت فيها مع البشر – نلاحظ مثلاً أنّ الدعوة إلى التوحيد هي القاسم المشترك لكلّ النبوات والرسالات لكن الوسيلة التي توسل بها الأنبياء والرسل لإقناع أقوامهم بهذه الوحدانية قد اختلفت باختلاف هذه الأقوام.

فنوح عليه السلام بعد تسعمائة وخمسين عاماً يقول لربه (رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا) فهو يتعامل مع الناس بوسيلتين:

- وسيلة تقوم على الحوار.
- وسيلة تقوم على الردع.

ثم يأتي إبراهيم الخليل، فيبدو لنا وكأنه يفتتح عهداً جديداً في أساليب العلاقة بين الرسل والناس، فنلاحظ أنّ الحوار عنده كان أغزر جداً وأكثر تنوعاً من الحوار بين نوح وقومه.

- فقد كان هناك حوار بين إبراهيم ونفسه..
- وحوار بينه وبين أبيه..
- وحوار بينه وبين أهل قريته.
- وبينه وبين صاحب الملك.
- وبينه وبين ربه.

تم تحميل هذا الملف من مكتبة الأديب الراحل رمضـان عبدالرحمن لاوند (سـيّد المنابر) www.RamadanLawand.com
مع الاحتفاظ بكامل حقوق الطبع و الملكية الفكرية ،لمزيد من المعلومات يرجى مراسلتنا: info@RamadanLawand.com

أما المعجزة عنده فلم تكن للردع والاستئصال كما هو شأن المعجزة عند نوح، وإنّما كانت لإثارة الإدهاش والإعجاب فرأينا أنّه قد ألقى في النار ونجى منها بأمر ربه دون أن يحدث ضرراً للمشركين الذين رفضوا قبول دعوته.

ففي تجربة إبراهيم عليه السلام نجد تحولاً يظهر فيه للحوار نصيب أكبر في الدعوة إلى الله، وتفقد فيه المعجزة هدف الاستئصال والإبادة وتتخذ صفة الإدهاش فقط.

التخاطب بلغة العصر

ثم يتعاقب الأنبياء بعد ذلك فنلاحظ أنّ أهم ما تميزت به رسالة موسى عليه السلام هو ظاهرة الحوار المتصل بثقافة العصر، وهي ثقافة السحر. أما رسالة عيسى عليه السلام فقد تميزت بظاهرة الحوار المتصل بثقافة العصر أيضاً، وهي الثقافة العلمية بعامة والطبية بخاصة، ولكنّ الرسولين لم يتخلّيا – بأمر من الله – عن المعجزة المادية باعتبار أنّ الإعلام الديني عندهما لم يكن قد بلغ بعد إلى مستوى الحوار المحض. فإذا انتقلنا إلى رسالة النبي محمد عليه السلام نفاجأ بأنّ سلاح الدعوة كله هو الحوار والمعجزة الكبرى للرسالة هو القرآن الذي هو في حقيقته الحوار السماوي مع البشر، وليس أدل على ذلك من أنّ وحي السماء قد نزل منجماً في ضوء الأحداث والوقائع ليحاور أصحابها مؤيداً أو ناقضاً أو مصححاً أو مرجحاً أو منكراً، وهذه كلها تتصل بالحوار، وليس هذا وحسب أيضاً، فقد لاحظنا أنّ الله عز وجل قد تحدى الناس – وإلى يوم يبعثون – أن يأتوا بسورة من مثل سور القرآن، أو بعشر آيات من آياته. وبتعبير آخر أن يأتوا بلغة في الحوار تكون على مستوى الحوار القرآني، وهذا يعني أنّ مفهوم الإعلام في دعوة السماء في أعلى درجاته ولزمن غير محدد هو مفهوم لها وفوقها، والوسيلة الوحيدة الصالحة لاستمرار الدعوة إلى الله.

وفي ضوء هذا الكلام أستطيع أن أؤكد بأنّ أسلوب الحوار المفتوح هو الأسلوب الوحيد الذي يعتبره الإسلام مادته الإعلامية الأولى وخطته الوحيدة للاتصال بالبشر.

مستقبل الإعلام الإسلامي

حاول المؤتمرون في الرياض مناقشة مقومات الفكر الإسلامي في الأعوام العشرين القادمة، وحاولوا أيضاً أن يعينوا صفات الداعية إلى الإسلام، لكنني لاحظت أنّ المناقشات لم تتناول – في الغالب الكثير – جوهر الموضوع، أي أنّ المناقشات لم تكن على مستوى التحولات الاقتصادية والاجتماعية التي تحدث في العالم العربي بعامة وفي الجزيرة العربية والخليج بخاصة، فالملاحظ أنّ الجزيرة العربية والخليج يحققان مسيرة واسعة جداً فيما يتعلق بالعمران والاقتصاد على أنواعه، لكن الملاحظ أيضاً أنّ الفكر الإسلامي لا يرافق في تحركه مسيرة التحرك

العمراني والاقتصادي وهذا يعني أنه يجب أن يحدث نوعاً من التفجر في مقاييسه ورؤيته للحقائق والأشياء ونظرته في المعرفة.

- إنّ الدعوة إلى الإسلام مشروطة بوجود مسلمات وخلفيات ثقافية مشتركة بين الداعية والمدعوين، وهذا يعني أنّ علينا أن نقدم للعرب والمسلمين بعامة والبشرية من ورائهم رؤية أصيلة تصل بنظرية المعرفة في القرآن، وذلك أنّ كل بناء للحضارة مشروطة بوجود نظرية في المعرفة تكون بمثابة الميزان الذي توزن به الحقائق والوقائع.

ولما لم يكن المسلمون – بمفكّريهم – حتى اليوم قد حاولوا دراسة القرآن الكريم من وجهة النظر هذه فمن الطبيعي أن يجد الدعاة الإسلاميين صعوبة في نشر الدعوة الإسلامية وفي تجنيد العدد المتزايد من الدعاة.

نظرية المعرفة في الإعلام الإسلامي

في كل نهضة حضارية في التاريخ نلاحظ أنها ارتبطت بأسلوب معين في المعرفة:

فاليونانيون مثلاً ربطوا ثقافتهم بمنطق أرسطو، والأوروبيون المحدثون ربطوا ثقافتهم بمنهج ديكارت ثم بالنظرية الوضعية عند كونت.

أما المسلمون فقد ربطوا ثقافتهم أيضاً بمنطق القرآن وأسلوبه في مواجهة مشكلات البشر وطرح الحلول التي يبحث عنها الإنسان والإجابات التي يطالب بها.

بعبارة مختصرة هي نظرية التوازن والتركيب، فالقرآن يقول بوجهة نظر أرسطو المنطقية، ولكنه يعين لها بعداً لا تتجاوزه، ولا يعتبرها الوسيلة الوحيدة للمعرفة.

ويفعل مثل ذلك مع المنهج الوضعي الذي يقول به الغرب، ولكنه لا يعتبره المنهج الوحيد في المعرفة، فيعين له بعداً لا يتجاوزه.

كما أنه يقر أسلوب المتصوفة في المعرفة أي منهج الغيب، ومعنى ذلك أنّ القرآن لا يقول بمنهج واحد في الوصول إلى المعرفة، كما لا يقول بوجود معرفة نابعة من الجهد الإنساني وحده، بل يضيف إليها المعرفة التي يأتي بها وحي السماء.

هذا المفهوم قادر على استيعاب كل مناهج التفكير وأساليبه، وهو الذي يجب أن نطرحه أمام طلابنا والمثقفين من أبناء الأجيال الطالعة ونؤكده من خلال العودة إلى القرآن نفسه.

الأصالة والمعاصرة

العملية الإعلامية لا يفترض فيها اليوم أن نتناول غير المسلمين، بل غير العرب، بل يجب أن نتناول العرب بالذات ثم المسلمين غير العرب ثم من وراءهم.. لأنني أعتقد بأنّ الفكر الغربي والمفهومات الغربية لا تزال حتى اليوم مصدراً لبلبلة ثقافية عميقة الجذور في حياتنا الخاصة والعامة.

إنّ أفكارنا وقيمنا معجونة بالكثير من الأفكار والقيم التي جاءت مع الحضارة الوافدة وتسلّلت إلى أعماق نفوسنا، ولذلك اقترحت في المؤتمر بأن نبدأ قبل كل شيء "بأسلمة العرب" إن صح التعبير – أي بإعادة تشكيل العربي إسلامياً وعلى نطاق واسع، لأنّ الإعلام في الحقيقة لا يقتصر على الإذاعة والتلفزيون والصحيفة والكتاب، بل يتمثل قبل كل شيء وبعد كل شيء في الإنسان نفسه، ولما كانت ثقافتنا نحن العرب لا تزال موصولة بثقافة الغرب متأثرة بها فإنّ من الطبيعي أن نعمل على تحقيق استقلالنا الثقافي قبل كل شيء وأن نكوّن الخلفية الثقافية المشتركة التي هي شرط نجاح الإعلام الإسلامي.

الكم والكيف وصناع التاريخ

الاقتداء بالرسول صلى الله عليه وسلم هو الوسيلة الوحيدة لتعبئة الطاقات، فلم يكن عليه السلام يهتم بالكم إنّما كان الكيف هو همه، وليس أدل على ذلك من أنه قضى 13 عاماً لم يكسب فيها للإسلام غير مئات قليلة من الناس.. أما من المكّيين فلا يكاد عدد المؤمنين يتجاوز المائة، وقد أثبتت الوقائع من بعد، ولا سيما حروب الردة بأنّ الاهتمام بالنوعية دون الكمية هو الذي حفظ للإسلام استمراره وديمومته، بل وتألقه أيضاً، ونحن اليوم أحوج ما نكون إلى تعبئة الأجيال في ضوء خطة الرسول عليه السلام، فلا نسعى أبداً إلى الاستكثار من العدد بل نهتم قبل كل شيء بالنوعية الجيدة، فالذين يقودون الشعوب – في العادة – هم قلة من المؤمنين الأقوياء، فهم وحدهم الذين يصنعون التاريخ أو على الأقل يتقدّمون مسيرات أممهم لصنع التاريخ وهذا هو السر في أنّ الإسلام قد حفظ باحتفاظ أهل المدينة ومكة بدينهم.